



1091 The Concept of Stylistic in Quran – A Comparative Study between *Asalib Al-Quran* by Abdul Hamid Al-Farahiy and *Al-Burhan Fi Ulum al-Quran* by Al-Zarkiliy.

Dr. Mohd Farid Ravi Abdullah
Pensyarah Kanan
Jabatan al-Quran dan al-Sunnah
Fakulti Pengajian dan Peradaban Islam
Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor
faridravi@kuis.edu.my

Abstract

Stylistic from the angle of Quranic language form is a collection of words and sayings originate from the same source and editorial of multiple variations that is implied in Quran to reveal and convey the meaning of messages. Variation in this context refers to the sentence and arrangement of words adapted in Quran in conveying its meanings. A comparative study is made between the works of Abdul Hamid Al-Farahiy entitled Nizam Al-Quran and the works of Al-Zarkiliy entitled Al-Burhan Fi Ulum to identify the stylistic concept between the two writings. The objective of the studies is to identify the concept adopted in understanding the stylistic of Quran to analyse the precision and the broad understanding of the two scholars; hence, forcing new ideas in interacting with the holy Quran by mastering its stylistic. Researches have applied quantitative and literary methods in data collection and analysis to obtain the study results. The findings indicated that Al-Farahiy incorporate Jamal Al-Ta'bir, the precision of Ta'bir, the strenght of effectiveness, the artistic of languages, and the accuracy of words selection to preserve the cohesion and coherence of Quran; as compared to Al-Zarkiliy who focuses on a restricted concept without broaden the stylistic understanding that causes the exquisiteness constraint amongst limited verses.

Keywords: *Stylistic, Comparative and Coherence*

أساليب القرآن للفراهي والموازنة بينه وبين البرهان في علوم القرآن للزركشي

Dr. Mohd Farid Ravi Abdullah
Pensyarah Kanan
Jabatan al-Quran dan al-Sunnah
Fakulti Pengajian dan Peradaban Islam
Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor
faridravi@kuis.edu.my

الملخص

إن هذا البحث يأتي لبيان طريقة التعامل مع اللغة العربية في استعمال تركيبها وأساليبها من أجل الوصول إلى ذهن المخاطب والتعامل معه بواسطة اللغة التي هي أداة التفاهم بين البشر. وإبراز هذه الوسائل اللغوية من كتاب الله تعالى الذي أحكمت آياته من لدن حكيم عليم. وكان اختيار موضوع البحث عن أساليب القرآن الكريم، لما لهذا الموضوع من حاجة ماسة وأهمية بالغة تكمن في الآتي: الاستفادة من أساسيات علم اللغة وتوظيفها في دراسة أساليب القرآن الكريم اللغوية التي أقنعت السواد الأعظم من البشر بمبادئ هذا الدين بطريقتها الخاصة والمميزة التي تدعو



إلى الاهتمام والدراسة لخصائصها. ولأنه قد لا يوجد بحث يوضح هذه المسألة التي نحن بأمس الحاجة إليها في خطاب الغير بحيث يوضح طرق تكوين هذه الأساليب وخصائصها اللغوية. لأن الدراسات القرآنية اتسمت معظمها بالجمع بين كثير من المواضيع المتعلقة بعلوم القرآن دون إفراد للدراسة التي تعنى بالتركيب اللغوية للقرآن الكريم. فالمؤلفات حول أساليب القرآن كثيرة، هناك من كتب هذا الموضوع مستقلة وهناك من كتبه من ضمن كتابه مثل ما فعله الزركشي. أما الفراهي كتب هذا الموضوع مستقلة في كتابه أساليب القرآن. فهذا البحث عن منهج الذي سلكه الزركشي والفراهي في دراسات أساليب القرآن في كتابيهما في علوم القرآن. ولا إنجاز هذا البحث جمعت كتب التي لها علاقة بالموضوع ولا سيما كتاب الزركشي البرهان في علوم القرآن وكتاب أساليب القرآن للفراهي ثم قمت باستقراءها وتحليل منهج شيخين واستخراج ما هو أصوب في فهم أساليب القرآن.
كلمة مفتاحية: أساليب، مقارنة و نظام القرآن.

"أساليب القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين "البرهان في علوم القرآن" للزركشي.

والمقصود بنظمه طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وتناسقها، وسبكها مع أحواتها في قالب محكم، ومن ثم استعمالها للدلالة على المعاني، بأوضح عبارة، وفي أعذب سياق، وأجمل نظم، والعرب وهم الفصحاء وهم أهل البلاغة والبيان قد بهرهم القرآن في نظمته، وسياق لفظه في كل خبر، وصورة كل عظة، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا إلا التناسق في التعبير، والتصوير وقوة التأثير بمر العقول وأعجز الجمهور، ووجدوا اتقاناً وإحكاماً لم يدع في نفس بليغ من العرب موضع طمع أن تقول مثله، حتى خرست الألسن عن أن تدعى وتتقول. فأسلوب القرآن مؤثر على العامة والخاصة، يقرؤه العالم فيدرك خصائصه وبلاغته، ويؤثر فيه بيانه، ودقيق علومه ومعارفه، ويقرؤه العامي فيشعر بجلاله، وحلاوته، فيخشع قلبه، وتدمع عينه، فينقاد له ويدعن، وأسلوب القرآن يؤثر على الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والملوك وسائر الناس، وهذا لا يكون إلا في القرآن العظيم بأسلوبه المؤثر في كل زمان وكل مكان.

المطلب الأول: تعريف "أساليب القرآن" للفراهي.

هذا الكتاب واحد من تلك الكتب التي ألفها الإمام الفراهي في علوم القرآن، ولا يصلح أن يعد هذا الكتاب من تصانيفه الناقصة كما يظنه بعض الباحثين؛ لأن النصفح في هذا الكتاب يدل دلالة واضحة على أن الفراهي كان قد جمع إشارات وتلميحات



وملاحظات في هذا الموضوع، ولكن لم تتح له فرصة لتسويدها، ولما توفي -رحمه الله- جمعت هذه المواد العلمية والتلميحات النافعة، ونشرت في كتاب.

وكان الفراهي سمي هذا الكتاب بـ"كتاب الأساليب" بدلاً بـ"أساليب القرآن"؛ وذلك أنه ليس من قصده أن يختصه بالقرآن الكريم فحسب، بل كان يريد أن يكون أساس وضعه على أساليب كلام العرب، كما يقول: "هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصاً بالقرآن، ولكنه متضمن لفن برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب، غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلاً على رسول" (1).

وأقرب ما يمكن أن هذا الاسم كان مذكوراً في مسودته، ويؤيد ذلك أن هذا الكتاب قبل الطبع كان مشهوراً على الألسن بكتاب الأساليب، وذكره الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي في رسالة مطبوعة دورية بهذا الاسم، حيث قال: "كتاب الأساليب وأصول التأويل في صدد الطبع، وسيطعان في أقرب وقت إن شاء الله" (2).

وذكره أيضاً في مقدمة تفسيره "تدبر القرآن" بهذا الاسم حيث قال: "تنكشف بمطالعة القرآن الكريم، وأدب زمان نزول القرآن، أصول الحذف والإيجاز العديدة، رتبها أستاذي مولانا الفراهي وجمعها في كتاب له كتاب الأساليب" (3).

ولا غرو أن الفراهي عندما يحتاج في أي كتاب من كتبه إلى ذكر مرجع هذا الكتاب فلعله أشار إلى هذا الاسم، إذ كان من قصده أن يكون أساس الكتاب على كلام العرب، لذلك سماه "كتاب الأساليب" ولم يسمه "أساليب القرآن"، ولكنه لم يستوعب هذا الموضوع، وكثيراً ما كتب في المسودة ما يتعلق بالقرآن الكريم، وما وجد من الأمثلة المتنوعة في أبواب متعددة وفصول مختلفة فهو مستقرب من آيات القرآن، بيد أن هناك أمثلة قليلة مأخوذة من كلام العرب، ولأجل ذلك قد تقرر عندي أن هذا الكتاب صار مسمى بـ"أساليب القرآن" بعد، لئلا يختلف الاسم والمسمى، ولئلا يتباعد العنوان والألوان، وقد نسب الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي

(1) الفراهي، أساليب القرآن، ص 6.

(2) انظر: شرف الدين الإصلاحي، البلاغ بيلكيشنز، نيو دلهي 2001م، ص 597.

(3) أمين الإصلاحي، مقدمة تدبر قرآن، فاران فونديشن، لاهور، ط 1، 2009م، ج 1، ص 23.



هذا الاسم إلى هذا الكتاب⁽⁴⁾، وسببه واضح جلي، وأيضاً أشار العلامة سليمان الندوي إلى هذا الاسم في ذيول كتابه "إمعان في أقسام القرآن"⁽⁵⁾.

إن قصد الفراهي من خلال ما ألفه من الكتب في التفسير أو في فن آخر، لا يكون إلا تعبيد الطريق وتمهيد السبيل إلى فهم القرآن الكريم، وكما ختم الأستاذ كثيراً من الأمور المذكورة في كتابه لفهم القرآن، كذلك قد ألزم التطلع الواسع العميق على أساليب اللغة العربية وأساليب القرآن الكريم، ومراده هنا باللغة الأدب العربي الذي نشأ وترعرع في زمان نزول الوحي، ومن هذه الناحية لم يعتبر لغة المولدين لغةً يستند إليها أو يوثق بها، حيث يقول عن غاية هذا الكتاب، ما نصه: كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم مجرّمه ووجوهه، وكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها، فإن محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعه، يفتح باباً عظيماً لسوء التأويل، مثلاً قالوا: إن كلمة "لا" بما تأتي زائدة، فإهمال هذا القول أقرب إلى الضرر منه إلى النفع، فإنه يجعل النفي إثباتاً، فلا بد أن نعلم مواقع الأساليب، فنستدل على معانيها ولا نخو لها عن مواضعها الخاصة، ومن هذه الجهة اشتدت الحاجة إلى إقامة الحجة على هذه الدلالات، فإن ذلك جزء من معاني الكلام، والجاهل به كالجاهل ببعض المعاني لكلمة مشتركة، فلا يؤولها إلا إلى ما علم من معانيه وربما يكون المراد غيره"⁽⁶⁾.

ومما يدل على أهمية الكتاب وموضوعه ومحتوياته وما يحتله هذا الفن من مكانة عالية شامخة التصريحات والتعليمات التي ذكرت في هذا الكتاب، ولكن الأستاذ الفراهي لم يتحدث عن أهمية هذا الفن ولم يتناول هذه النقاط إلا بإيجاز واختصار، ولو قمنا باستعراض هذه النقاط لطال الكلام ولضاق المقام، ولم يثر كذلك علماء المعاني موضوع أساليب الكلام، إلا أن الفقهاء الأصوليين اقتبسوا من هذا الموضوع بعض القواعد والمسائل حسب ما ألجأهم الضرورة إليه، ولم يستطع هذا الفن أن يركز عناية عدد من الباحثين والمحققين رغم أنه يحمل في طيه أهمية بالغة قصوى، والإمام الفراهي هو أول من استشر أهمية هذا الفن في فهم القرآن، ولم ير بدأ أن يؤلف فيه تأليفاً مستقلاً، فلم يسبقه أحد في هذا الباب، والفضل في ذلك يرجع إليه، فليته أتم هذا الكتاب وفقاً لما كان تصوره، وما

(4) الفراهي، مجموعة تفاسير فراهي، فاران فونديشن، لاهور، ط1، 1412هـ، ص44.

(5) انظر ذيل كتاب "إمعان في أقسام القرآن"، ترجمة صاحب هذه الرسالة.

(6) الفراهي، أساليب القرآن، ص155.



كان في الكتاب فهو ناقص، ورغم ذلك كله لا يمكن الجحود والإنكار بأهميته وإفادته، وهناك أمر يحتاج إلى الوضوح والبيان وهو أن من يريد المطالعة والاستفادة من هذا الكتاب فليعلم أنه ليس تأليفاً مستقلاً بل هي مجموعة من الإشارات والتلميحات، وهي تتوخى منه المعرفة التامة والاطلاع الواسع على أفكار المؤلف ونظرياته وميوله مع التفكير والتعمق والنظر فيها.

وقد تطرق كلام المؤلف في هذا الكتاب إلى أساليب الكلام ومواقع استعمالها المتنوعة مصحوبة بالأمثلة القرآنية عن طريق العناوين المختلفة التي يصل عددها إلى اثنين وثلاثين بعد وضع الأبواب والفصول التمهيدية، ولا يمكن الوصول إلى المعنى المراد الصحيح إلا بمعرفة هذه الأساليب ومواقع استخدامها.

ومما يجدر بالذكر أن الأمثلة المختلفة كلها في هذا الكتاب مقتبسة من القرآن الكريم، غير أن هناك أمثلة عديدة مأخوذة من أساليب كلام العرب، وتناول المؤلف الجرجاني⁽⁷⁾، والكسائي⁽⁸⁾، والفراء⁽⁹⁾، وابن تيمية، بدراسة نقدية، وإن نظرة سريعة على عناوين الكتاب ومحتوياته تكفي لمعرفة ذكاء المؤلف، وتوقد ذهنه، وتبحر علمه، وسعة مطالعته، وآرائه القيمة، وأفكاره السديدة، فحاء ككتاب مستقل بعينه يسלט ضوءاً على أساليب القرآن، ولكن كتاب الأساليب ينتظر عناية من الباحثين والمحققين.

المطلب الثاني: تعريف "البرهان في علوم القرآن" للزركشي.

أولاً: نبذة عن المؤلف.

هو محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين أبو عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، محيي الدين الرحاوي ويقال له "بهاء الدين زاده": فقيه متصوف من الموالي الرومية، معمر من أهل "بالي كسري". وُلد بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ولم يكد يجاوز سن الحداثة حتى انتظم في حلقات الدروس، وتفقه بمذهب الشافعي، وحفظ كتاب "المنهاج في الفروع" للإمام النووي، وصار يعرف

(7) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. وله نحو خمسين مصنفاً، منها "التعريفات - ط" و " شرح مواقف الإيجي - ط" و " شرح كتاب الجغميني في" في الهيئة، و " مقالات العلوم - خ" و " تحقيق الكليات - خ" وغيرها. ولد سنة 740هـ وتوفي سنة 816هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص7.

(8) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قرأها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالرّي سنة 189هـ، عن سبعين عاماً. وهو مؤيد الرشيد العباسي وابنه الأمين. انظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص283.

(9) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. سنة 144هـ وتوفي 207هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص145.



بالمناهج نسبة إلى هذا الكتاب. وجمع بين آداب الطريقة وعلوم الشرع. تولى من المناصب خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى. وأقام في القسطنطينية. وتوفى بمصر في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ودفن بالقرافة بالقرب من تربة بكتمر الساقى⁽¹⁰⁾.

وكان رضي الخلق، محمود الخصال، عذب الشمائل، متواضعاً رقيقاً، يلبس الخلق من الثياب، ويرضى بالقليل من الزاد، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا، أو شؤون الحياة. ومن مؤلفاته: "تفسير القرآن" و "شرح الفقه الأكبر"، و "شرح الأسماء الحسنى"، ورسائل كثيرة في التصوف. وكان يكتب مصنفاته بنفسه، وخطه جدا قل من يحسن استخراجها، ولهذا شاع في الكتب المنقولة عن خطه الغموض والإبهام والتحريف والتصحيف ولقي منه القراء والدارسون العناء الكثير⁽¹¹⁾.

ثانياً: تعريف "البرهان في علوم القرآن".

يُعد هذا الكتاب من أجمع الكتب في علوم القرآن وأوسعها وأفضلها، فقد ضمن خلاصة ما وصل إليه من علم التفسير في أكثر الجوانب التي عني بها، فتناول التعريف بعلم التفسير وعلوم القرآن، ومعرفة أسباب النزول، ومعرفة المناسبات بين الآيات، ومعرفة الفواصل ورؤوس الآي، وجمع الوجوه والنظائر، وعلم المتشابه، والمبهمات، وأسرار الفواتح والسور وخواتمها، ومعرفة المكى والمدني، ومعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل، ومعرفة على أي لغة نزل، ومعرفة جمعه وتدوينه ومعرفة تقسيمه بحسب سوره، وترتيب السور والآيات وعددها، ومعرفة أسمائه واشتقاقاتها وأسرار التقديم والتأخير، والتأكيد والمبالغة والحذف والإيجاز والإطناب والنكت البيانية والأنواع البديعية، والفروق في معاني المترادفات، وأسرار الكلمات التي ختمت بها الآيات إلى غير ذلك من النكت والأسرار.

فجاء هذا الكتاب فريداً في باب، جامعاً لصفوة آراء العلماء المحققين، وأقوال المتقدمين، يقول محقق هذا الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة تحقيقه له منوّهاً بنوع المؤلف وفضله وسعة علمه كما يشيد بالكتاب: "كتاب البرهان في علوم القرآن الكريم وكتاب الله الخالد، قصره على سبعة وأربعين نوعاً كل نوع يدور حول موضوع خاص من علوم القرآن ومباحثه، يستأهل كل نوع أن يكون موضوعاً لمؤلف خاص حاول في كل موضوع أن يؤرخ له، ويحصى الكتب التي ألفت فيه، ويشير إلى العلماء الذين

(10) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1376 هـ - 1957م،

ج1، ص3-13.

(11) انظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص60.



تدارسوه، فأشبع الفصول، وضم أقوال المفسرين والمحدثين إلى مباحث الفقهاء والأصوليين، إلى قضايا المتكلمين، وأصحاب الجدل، إلى مسائل العربية وآراء أرباب الفصاحة والبيان، فجاء - كما شاء الله - كتاباً فريداً في فنه، شريفاً في أغراضه مع سداد المنهج، وعذوبة المورد، وغزارة المادة، بعيداً عن التعمية واللبس نائياً عن الحشو والفضول⁽¹²⁾.

ولو قمنا بعد ما جمع الكتاب من وجوه القيمة الفنية وميزاتها الكثيرة ظهر لنا ما يفوق الاحصاء، ويتجاوز الاستقصاء، لكن يجدر بأن أخص هنا بعض الجوانب القيمة التي حال فيها يراع المؤلف العبقرى وأتى فيها بالعجب العجاب، فنذكر فيما يلي بعض السمات البارزة للكتاب.

ثالثاً: العناية بالنواحي البلاغية في فهم أساليب اللغة.

إن من بين وجوه إعجاز القرآن الكريم الصبغة البلاغية التي يتجلى بها، فهو نور من الكلام، أو كلام من النور، ولا عجب أن يكون كذلك، فهو تنزيل من حكيم حميد، ومن هنا فإن الإمام الفراهي الفاضل اهتم كثيراً بتحليل النواحي البلاغية في المباحث التي يستعرضها، أحياناً من قبل نفسه، وأحياناً كثيرة فيما ينقله عن الآخرين.

وحيث إن علم البلاغة يشتمل فنوناً ثلاثة وهي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، فإن الإمام الفراهي ظهر اهتمامه بكل ذلك وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

(1) علم البيان: لقد ذكر الإمام الفراهي ما يندرج تحت هذا من أنواع متعددة، وإليك بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

الاستعارة، والمجاز، والكناية المرشحة، والتشبيه وأنواعه، والتورية والاستخدام والفرق بينهما، فقد فصل المؤلف القول في جميع

هذه الأقسام البيانية، وأكد على وردوها في القرآن، ورد كذلك على من أنكرها، فقال الإمام الفراهي في مبحث الاستعارة:

"هي من أنواع البلاغة، وهي كثيرة في القرآن، ومنهم من أنكره، بناءً على إنكار المجاز في القرآن"⁽¹³⁾.

(12) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص12

(13) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص432



ثم يذكر الإمام الفراهي أمثلة الاستعارة في القرآن وحقيقتها وحكمتها فيقول: "وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بما إلى شيء لم يعرف بما، وحكمة ذلك إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو بمحصول المبالغة أو للجموع.

فمثال إظهار الخفي قوله تعالى: " (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ)⁽¹⁴⁾، فإن حقيقة أنه في أصل الكتاب، فاستعير لفظ "الأم" للأصل، لأن الأولاد تنشأ من الأم، كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمبرئي حتى يصير مرئياً، فينقل السامع من حد السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان⁽¹⁵⁾.

(2) علم البديع: لقد حفل كتاب البرهان في علوم القرآن" بالأنواع الكثيرة التي يتضمنها هذا العلم، ومنها: التجنيس، والطباق، والمقابلة، ورد العجز على الصدر وعكسه، وإلجام الخصم بالحجة، والتذليل.

فبسط الإمام الفراهي الكلام في تعريفه، وأنواعه، بجانب ذكر الخلاف بين العلماء إن كان هناك، فانظر على سبيل المثال أنه ذكر التجنيس وأمثله من القرآن ثم رد خلاف ابن أبي الحديد في إثبات التجنيس في الآية الكريمة: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)⁽¹⁶⁾، يقول: "نازع ابن أبي الحديد⁽¹⁷⁾ في الآية الأولى، وقال: عندي أنه ليس بتجنيس أصلاً، وأن الساعة في الموضوعين بمعنى واحد، والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا تكون إحداها حقيقة والأخرى مجازاً، بل تكونا حقيقتين، وإن زمان القيامة -وإن طال- لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة، لأن قدرته لا يعجزها أمر، ولا يطول عندها زمان، فيكون إطلاق لفظة الساعة على أحد الموضوعين حقيقة وعلى الآخر مجازاً، وذلك يخرج الكلام من التجنيس، كما لو قلت ركبت حماراً، ولقيت حماراً، وأردت بالثاني البليد، وأيضاً يجوز أن

(14) سورة الزخرف:4.

(15) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:3، ص433

(16) سورة الروم: 55.

(17) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: 656هـ)، الفلك الدائر على المثل السائر، (المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة)، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، ج1، ص51.



يكون المراد بالساعة الساعة الأولى خاصة، وزمان البعث، فيكون لفظ الساعة مستعملاً في الموضوعين حقيقة، فيخرج عن التجنيس.

(3) الاستشهاد بالشعر: لم يكن خافياً على المؤلف دور الشعر في فهم القرآن الكريم وتفسيره، وفي توضيح المعاني، لذلك ذكر المؤلف الشواهد الشعرية كما استشهد المؤلف بالشعر في قضية ورود البعض وإرادة الكل، يقول: "وبجوز أبو عبيدة ورود البعض وإرادة الكل، وخرج عليه قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ) 18 أي كله (19)، وقوله تعالى: " (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضَ الَّذِي يَعِدُكُمْ)" (20).
وأنشد بيت لبيد:

تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا * أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النُّفُوسِ حَمَامَهَا (21)

المطلب الثالث: الموازنة بين "أساليب القرآن" للفراهي وبين "البرهان في علوم القرآن" للزركشي.

من خلال استعراض الكتابين، فإننا نجدهما مشتملين على مباحث مهمة وفوائد جلية، بحيث يتوافق كلاهما على غاية شريفة وهدف نبيل، وهو خدمة القرآن الكريم، وتمهيد السبل للتوصل إلى ما يتضمنه من اللطائف والأسرار المكنونة، كما يهدف إلى توضيح الآيات وتفسير البيّنات، ونجد كذلك تباين منهج العرض والاستدلال والترتيب والاختلاف في المباحث القرآنية.
الأول: فإن كتاب الفراهي كما سبق أن قلنا إنه عبارة عن رسالة وجيزة تتحدث عن عموم أساليب كلام العرب، ويقصد إحاطة العلم بدلالات الصور والأساليب، ومواقع استعمالها، كما صرح بذلك الفراهي رحمه الله في بداية كتابه حيث قال: "كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمه ووجوهه، فكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها" (22).

(18) سورة الزخرف: 63.

(19) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:2، ص:334.

(20) سورة غافر: 28.

(21) الموسوعة الشعرية، معلقة لبيد بن ربيعة العامري، ج:11، ص:3.

(22) الفراهي، أساليب القرآن: ص:9.



أما كتاب الزركشي فهو بمثابة الأمهات للكتب المؤلفة في الدراسات القرآنية، ومن ميزاته البارزة: الجمع والاستيعاب والشمول، مع أجود الترتيب والتبويب، وهو في أربع مجلدات ضخمة يجمع ما قاله الأئمة الأعلام في هذا الفن سواء كانوا مفسرين أم محدثين أم أصوليين أم لغويين أم بلاغيين، فيبدو الزركشي في كتابه كأنه يتوخى من خلال كتابه التعرض لجميع المباحث القرآنية واستيعابها بعقلية موسوعية. أما الفراهي فقد اقتصر على مبحث قرآني محدود، وناحية مخصوصة من الكلام الإلهي.

الثاني: تصدى كلا الكتابين للمباحث القرآنية والأساليب البيانية من أسلوب الخطاب والالتفات، ومواقع الحذف والعود على البدء، والوصل والفصل والتذييل، إلا إذا أمعنا النظر بين الكتابين نجد أن الفراهي أقدر من الزركشي على تفسير مكونات صدره وإثبات رأيه بكثير، كما أن الفراهي يمتاز أيضاً عن الزركشي في الإتيان بنكت شريفة ولطائف دقيقة، والتي لم أجد لها عند الزركشي في "البرهان"، انظر في هذا المقال: "مبحث القرآن والوصل"، والفرق بينهما في كتابه الأساليب، وهو يدل على عقلية الفراهي المبتكرة، وطبيعته المخترعة المتوقدة، أما الزركشي فهو يقتصر على الاهتمام بنقل الآراء عن الآخرين أكثر من الاهتمام بالاختراع والابتكار.

الثالث: نجد ذكر مبحث الالتفات في الكتابين كليهما بغاية من الإسهاب والتفصيل فقد توسّع المؤلفان كلاهما في بسط الحديث عن الالتفات وتقديم الأمثلة والأدلة من كلام العرب الأولين، وأساليب بيانهم، إلا أن الفراهي يتفوق على الزركشي بذكر الفوائد والحكم الخفية من مجيء الالتفات في القرآن الكريم، يقول الفراهي وهو يذكر فوائد الالتفات: "اعلم أن الالتفات في القرآن كثير جداً في كلام العرب، ومن فوائده العامة: انتباه السامع، ومنها إحضار البعيد، ومنها شدة الخطاب، ومنها صرف التوجه عن السامع تصغيراً له وإعراضاً عنه، ومنها صرف الخطاب الشديد إلى أكبرهم، ومنها التعريض بمن يتوقع منه الإنكار أو الكراهية، والالتفات من مخاطب إلى مخاطب، والالتفات لتنويع المعنى والالتفات لإرادة التوبيخ"⁽²³⁾.

هذه بعض أهم جهود الإمام الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، وقد خصصت في هذا الفصل بما كان يتعلق منها بعلوم القرآن فقط، حتى أقوم بالموازنة بين كتب الفراهي فيها وبين ما كتبه فيها المؤلفون السابقون، مع إبراز خصائص مناهج كل منهم في كتبهم.

(23) الفراهي، أساليب القرءان، ص 170.



الخاتمة

1. إن الإمام الفراهي هو من العلماء القلائل في الهند، الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والغربية، ولذلك كانت شخصيته مرجعاً كبيراً لكثير من المثقفين المسلمين من عُلية القوم.
2. إن الإمام الفراهي عرف في طيلة حياته، بفرط الذكاء، و نفاذ البصر، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط، و غزارة العلم، وسعة الاطلاع، فكان عالماً ذا ثقافة واسعة متنوّعة.
3. إن منهج الإمام الفراهي في مؤلفاته يختلف عن منهج عامة المؤلفين الذين إذا عزموا على تأليف كتابٍ جمعوا في أول وهلةً مادةً موضوعه، ثم ربّوها في صورة كتابٍ. أما الإمام الفراهي مذهب خاص به، وأنه إذا شعر بحاجةٍ إلى الكتابة أو التأليف في موضوع ما، أو حلّ مشكلة من المشكلات في مسألة علمية؛ فكانت الموضوعات في ذلك الموضوع تتمثّل بين عينيه. وهو يُدتم النظرَ والبحث فيها، فإذا حقّق مسألةً، أو حلّ معضلةً، أو أحكم رأياً؛ قيّد ذلك وكتب عليه: "من كتاب ..."، حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها، لذلك كان يؤلّف كتباً عديدةً في وقت واحد، ولهذا السبب بقي أكثرُ مؤلفاته ناقصةً.
4. أنه لا يكثر في مؤلفاته ما قاله الآخرون دون الوقوف عندها وقفات في غاية الحسن والنفع.
5. إن أسلوب الإمام الفراهي في مؤلفاته كان يتسم بالجرأة والثقة بالنفس في مناقشة المسائل.
6. إن الإمام الفراهي بدراسته العميقة للغة العربية وأدبها وعلومها قد صار عربياً في التعبير والتحبير و صار ذوقه الأدبي كالعرب الخالص. ولكن مع كل هذه المزايا التي تجسدت في شخصيته كانت مزية أخرى قد تغلبت تلك المزايا كلها وهي حب القرآن الكريم فوق كل شيء. ولن يشعر بعظمة هذا القرآن إلا من كان عربياً خالصاً.

المراجع و المصادر

- ❖ أمين الإصلاحي، مقدمة تدبر القرآن، فارن فونديشين، لاهور، باكستان، ط:1، 2009
- ❖ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدشقي (ت: 1396هـ)، الأعلام، ط:-، دار العلم الملايين، بيروت، 2002م.



- ❖ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1376 هـ - 1957م).
- ❖ زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر المتوفى سنة (13 ق . هـ 609م)، ديوان زهير بن أبي سلمى، المحقق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: -، 1408هـ- 1988م.
- ❖ شرف الدين الإصلاحي، بلاغ يبلکشنز، نيو دلهي، ط:-، 2001م.
- ❖ عبد الحميد الفراهي، أساليب القرآن، الدائرة الحميدية، ط:4، سرائ مير، أعظم كره، الهند، 1433هـ - 2011م.
- ❖ عبد الحميد الفراهي، مجموعة تفاسير فراهي،: فاران فونديشن، لاهور، ط1، 1412هـ.
- ❖ ليبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: 41هـ)، ديوان ليبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، ط1، 1425 هـ - 2004م.
- ❖ عبد الحميد الفراهي، إمعان في أقسام القرآن، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، الهند، ط:1، 1415 هـ - 1994م.
- ❖ عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد أبو حامد، عز الدين، (ت: 656هـ)، الفلك الدائر على المثل السائر، (تحقيق: أحمد حوفي و بدوي طبانة)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.س.